Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعظموه حتى تبعهم في ذلك من بعدهم وحتى قال أهل النظر : « ان المعاني لا تتزايد وانما تتزايد الالفاظ » فأطلقوا كلاماً يوهم كل من يسمعه ان المزية للفظ . ولتوضيح ذلك قال : « لما كانت المعاني انما تتبين بالالفاظ وكان لا سبيل للمرتب لها والجامع شملها إلى ان يعلمك ما صنع في ترتيبها بفكره الا بترتيب الالفاظ في نطقه تجوزوا فكنوا عن ترتيب المعاني بترتيب الالفاظ ثم بالالفاظ بحذف الترتيب ، ثم اتبعوا ذلك من الوصف والنعت ما أبان الغرض وكشف عن المراد كقولهم : « لفظ متمكن » يريدون انه بموافقة معناه لمعنى ما يليه كالشيء الحاصل في مكان صالح يطمئن فيه ، و « لفظ قلق نابٍ » يريدون انه من اجل ان معناه غير موافق لما يليه كالحاصل في مكان لا يصلح له فهو لا يستطيع الطمأنينة فيه — إلى سائر ما يجيء صفة في صفة اللفظ مما يعلم انه مستعار له من معناه وانهم نحلوه اياه بسبب مضمونه ومؤداه . هذا ومن تعلق بهذا وشبهه واعترضه الشك فيه بعد الذي مضى من الحجج فهو رجل أنِسَ بالتقليد فهو يدعو الشبهة إلى نفسه من ههنا وثَمَّ . ومن كان هذا سبيله فليس له دواء سوى السكوت عنه وتركه وما يختارهُ لنفسه من سوء النظر وقلة التدبر »[1] .

فالفصاحة والبلاغة عنده بمعنى واحد ولا يمكن ان نفصل بينهما لان الاولى لا تكون في الالفاظ وانما في المعاني ولذلك لا يقال في الكلمة المفردة انها فصيحة قبل أن تضم إلى غيرها من الكلمات مكونة جملاً وعبارات لها دلالة واضحة . ولأهمية هذا المصطلح أشار إلى ما اكتنفه من غموض في تفسيره فقال : « ولم ازل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة وفي بيان المغزى من هذه العبارات وتفسير المراد بها فأجد بعض ذلك كالرمز والايماء والاشارة في خفاء وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيء ليطلب وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج وكما يفتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه وتوضع لك القاعدة لتبنى عليها »[2] . وذكر

(١) دلائل الاعجاز ص ٥٠ — ٥١ .
(٢) دلائل الاعجاز ص ٢٩ .